فمن هي تلك الأقلية العربية التي بقيت في الجزء المحتل من فلسطين العام ١٩٤٨؟ وكيف تمكّنت من الاستمرار، والتكاثر، تحت شروط الاحتلال؟

من المفيد، هنا، رصد التطوّرات الديمغرافية، والاجتماعية، والسياسية، لعرب الارض المحتلة العام ١٩٤٨ والتي تحققت من خلال الصراع شبه اليومي مع سلطات الاحتلال الاسرائيلية واجراءاتها التعسفية ضدهم؛ ومع ذلك كله، ظلّوا صامدين في مدنهم وقراهم، حيث يمثّل استمرار الشعب الفلسطيني في الوجود والبقاء، واحتفاظه بهويته الوطنية، الوجه الابرز لمأزق الصهيونية، والمشكلة الاساس التي تواجه استكمال تنفيذ مشروعها العدواني وتحقيق اهدافه النهائية، بعد ان ظلّ تغييب هذا الشعب، هوية ووجوداً، احد أبرز الاهداف الصهيونية لتحقيق «دولة يهودية خالصة» في فلسطين المحتلة. والسؤال الذي يطرح نفسه، هنا، يتعلق، أساساً، بماهية الحقائق المرتبطة بواقع فلسطينيي الارض المحتلة العام ١٩٤٨، ممّا يجعلهم يتسببون بالقلق والحذر لدى الاسرائيليين الذين لم يترددوا عن وصفهم بأنهم «سرطان في جسم الدولة»، وانهم «قنبلة موقوتة». ولا يتورّع بعض القادة الاسرائيليين عن كشف مخططات ونوايا لطرد العرب الى خارج الحدود وفي ظروف وأوضاع معيّنة. لذا، فان استمرار وجودهم يعتبر، في حدّ ذاته، شكلاً من أشكال المقاومة والصمود. وفي حقيقة الامر، لقد تبلورت، خلال السنوات الاخيرة، مجموعة من العوامل الاساسية، أثّرت، بشكل كبير، في بنية العرب في اسرائيل، وحوّلتهم من «أقلّية» يلفّها الاحباط والتشرذم والضياع، الى قوة بشرية فاعلة ومؤثرة نوعياً، يحسب حسابها في مجرى الصراع القائم[٦]. وفي هذا البحث، نتناول، بالتحليل، الجوانب المختلفة للواقع الديمغرافي والاجتماعي ـ الاقتصادي والواقع السياسي لعرب الارض المحتلة العام ١٩٤٨، منذ انشاء اسرائيل وحتى الآن.

العامل الديمغرافي

ذكرت المصادر الاحصائية الرسمية الاسرائيلية ان عدد العرب الذين ظلّوا داخل ما يسمّى بـ «الخط الاخضر» في العام ١٩٤٨، كان ١٥٦ ألف نسمة، يشكّلون نسبة ١٧,٨٧ بالمئة من اجمالي سكان الكيان الصهيوني في ذلك العام. وقد عاش هؤلاء تحت نير الحكم العسكري الاسرائيلي طيلة ثمانية عشر عاماً (من العام ١٩٤٨ الى العام ١٩٦٦). وعلى الرغم من هذه الظروف الصعبة التي عاشها هؤلاء العرب، لم تشهد الفترة الماضية أي هجرة منهم الى خارج فلسطين، الاّ في حدود ضئيلة جداً. كما لم تسمح السلطات الاسرائيلية بعودة اللاجئين الفلسطينيين الى بيوتهم وأراضيهم في المناطق المحتلة العام ١٩٤٨.

وهكذا اتّسمت طبيعة التجمّع السكاني الفلسطيني، في تلك المناطق، بالاستقرار النسبي خلال تلك الفترة، وكانت الزيادة الطبيعية هي العامل الوحيد الكمّي لهذا التجمّع الذي يتميّز، بصفة عامة، بفتوّته وارتفاع معدّل خصوبته، الامر الذي رفع عددهم من ١٥٦ ألفاً في نهاية العام ١٩٤٨، الى ٣١٢٢٢٠ في نهاية العام ١٩٦٦، فشكّلوا نسبة ١١,٧٥ بالمئة من اجمالي سكان اسرائيل للعام عينه. وفي مطلع العام ١٩٨٨، ارتفع عددهم الى نحو ٧٩٥ ألفاً (بمن فيهم سكان القدس الشرقية) فشكّلوا نسبة ١٧,٩٦ بالمئة من مجموع السكان للعام عينه (انظر الجدول الرقم ١).

ويتضح من البيانات الواردة في الجدول الرقم ١، ان عدد السكان العرب في اسرائيل قد ارتفع من ١٥٦ ألف نسمة العام ١٩٤٨ الى ٣١٢٢٢٠ في نهاية العام ١٩٦٦، أي بزيادة قدرها ١٥٦,٢ ألف نسمة خلال تلك الفترة، وبنسبة زيادة تقدّر بنحو ١٠٠,١٤ بالمئة. وقد جاءت هذه